مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣١/٢٠١٠ هـ.ق، العدد ١٧ (٣) ٩١-١٠٢

دراسة اختلاف الخطابات التبليغية للأنبياء السلف ونبي الإسلام (صلى الله عليه وآله)

كاظم قاضي زادة[١]، صادق آيينه وند[٢]، محمد علي مهدوي راد[٣]، حبيب الله رسولي[٤]

تاريخ الوصول: ١٤٢٩/١٢/٢٣ تاريخ القبول: ١٤٣٠/٥/٢٩

إن جميع الأنبياء مأمورون من قبل الله عز وجل – بالإضافة إلى إبلاغ رسالتهم الخاصة – بدعوة الناس إلى عبادة الله واجتناب الطاغوت.تفاوت نسبة نجاح الأنبياء (عليهم السلام) من نبي إلى آخر من حيث جذب المخاطبين وسرعة انتشار رسالتهم، فمثلاً: نبي الله نوح (عليه السلام) وخلال تسعمائة وخمسين سنة من الدعوة جذب عدداً قليلاً من المخاطبين! إذاً توجد عدة عوامل مختلفة تساهم في تفاوت نجاح الدعوة . وأهم تلك العوامل كيفية الحوار وخطاب الأنبياء لمخاطبيهم.

لقد أكد الأنبياء السلف على استخدام أساليب مختلفة في الدعوة، مثل: التهديد و النصيحة. في حين أنّ الرسول الأعظم (ص) أكثر ما استخدم أسلوب: البشارة و احترز عن التهديد و اللعن. إن أهم عامل في نجاح نبيّ الإسلام (ص) في دعوته وتبليغه للرسالة، هو حسن خلقه الذي هو الأصل الأصيل في كيفية محاورته مع قومه.

الكلمات الرئيسية: الحوار، الخطاب، الأنبياء السلف، نبي الإسلام، التبليغ

١. الأستاذ المشرف، عضو الهيئة العلمية بجامعة تربيت مدرس
٢. الأستاذ المساعد الشرف، عضو الهيئة العلمية بجامعة تربيت مدرس
٣. الأستاذ المساعد الشرف، عضو الهيئة العلمية بجامعة طهران
٤. طالب الدكتوراه في علوم القرآن والحديث في جامعة تربيت مدرس

www.noormags.ir

مقدمة:

هناك عوامل مختلفة تؤثر على مدى جذب المخاطبين ونجاح الأنبياء في إيصال رسالتهم، فشخصية المخاطبين، وظروف الزمان والمكان، وشخصية النبي، واتساع زمان ومكان الدعوة، تعد من جملة تلك العوامل.بنفس المستوى من اتساع مكان وزمان دعوة الأنبياء، فإن النجاح في الدعوة يتوقف على مدى الإتساع العالمي أو الإقليمي، أو كونها محدودة بزمن معين أو تتسع لأبعد من ذلك، كل ذلك يؤثر في هذا التفاوت.كما أن من جملة تلك العوامل المؤثرة في نجاح الأنبياء أسلوب الخطاب مع قومهم، إن كل الأنبياء وعن طريق الكلام والحوار يدعون قومهم لعبادة الله واجتناب الطاغوت، كما يروي لنا القرآن قسماً من حوار بعض أنبياء السلف (عليهم السلام) والنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله). إن سرعة انتشار وقبول دعوة الأنبياء يعتمد على عدة عوامل مختلفة، أحد هذه العوامل: أسلوب الحوار والخطاب مع قومهم.وبملاحظة النجاح الذي حققته دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسرعة انتشار الإسلام بين الناس (مطهري،١٣٧٣:٢٣٣)، فإننا في هذه المقالة نتطرق لدراسة ثلاثة من عوامل الإختلاف الرئيسية في طريقة الخطاب والتحاور لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وباقي أنبياء السلف (عليهم السلام)، وهي كالتالي: النصيحة، التهديد، والبشارة.

ألف/ النصيحة:

بشهادة القرآن الكريم فان الأنبياء السلف استخدموا في دعوتهم أسلوب النصيحة، ولكن نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) استخدم بدلاً من النصيحة أسلوب الموعظة.نبحث في البداية كلمة النصيحة في اللغة والآيات والروايات، فنقول:

النصيحة من مادة (نصح) بمعنى الخلوص، وهي نقيض الغش، كما ورد في لسان العرب:

نصحت له نصيحتي نصوحاً أي أخلصت وصدقت. (ابن منظور، ١٤١٤: ٦١٦)

ومن البديهي أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) من الناصحين لأممهم وأقوامهم وهم يريدون الخير للإنسانية جمعاء، ومثلهم كمثل الوالدين العطوفين على الأبناء من جهة ومن جهة أخرى فهم ينصحونهم، ولكننا نقر أيضاً أن الطبع الإنساني قليلاً ما ينسجم مع من يسدي إليه النصح بكلمات الأمر أو النهي، ولنفس السبب نرى الأبناء ينفرون من كل من يسمعون منه النصيحة، وحتى لو عرف الإبن أن هذه النصيحة بصالحه ومن منطلق المحبة وحب الخير فمع ذلك نراه يكره سماعها.

ولا يستثنى أقوام الأنبياء (عليهم السلام) من هذه القاعدة، وأساساً فإن الإنسان لا يسر بكونه مورداً للنصيحة، إن المقصود من النصيحة غير المحببة نفسها الأمر والنهي، حيث يشير إلى ذلك صاحب مجمع البحرين:

والنصيحة لا تكون قبيحة ولكن ربما يستقبحها السامع لصعوبتها. (طريحي ، ١٣٧٥: ٤١٨) وعلى هذا الأساس نقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يستخدم في دعوته وتبليغ رسالته كلمة النصيحة، ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى جلياً، في حال أن الأنبياء السلف استخدموا هذا الأسلوب. وفي الحقيقة فإن هذه إشارة إلى هذا المعنى من النصيحة، ولهذا السبب اعتبرها الإمام الكاظم (عليه السلام) أنها خشنة. نقل في كشف الغمة عن قول الإمام الرضا (عليه السلام) جملة عجيبة، عندما جاءه جمع من أهل خراسان وطلبوا منه أن ينهى أصحاب الأعمال القبيحة، ولكن الإمام امتنع عن ذلك في جواب من قال: لماذا لا تنهاهم؟ أجاب: سمعت أبي (عليه السلام) يقول: النصيحة خشنة. (اربلي ، ١٣٨١، ٢٩٤)

www.noormags.ir

ورد في كتب اللغة أن الناصح بمعنى الخياط ونصاح بمعنى خيط الخياطة ونصح بمعنى الخياطة. (فراهيدي، ١٤١٠: ١١٩) وعلى الرغم من أن النصيحة تكون بقصد الإصلاح ولكنها بمثابة إبرة الخياطة التي تغرس داخل القماش بقصد الإصلاح، كذلك النصيحة تدخل في كيان المنصوحين، ولهذا السبب تجد أن المنصوحين عادة لا يستسيغون ولا يحبون النصيحة.قال الجوهري في صحاحه : الناصح الخالص من العسل و غيره و كل شيء خلص فقد نصح و منه التوبه النصوح و هي الصادقة و النصح بالفتح مصدر قولك نصحتُ الثوب : خطتُهُ .(جوهري ، ١٤٠٧ : ٢١١)

استخدمت كلمة النصح مع مشتقاتها في القرآن الكريم ١٣ مرة، منها اثنتان من قبل الله سبحانه وتعالى، و واحدة استخدمت في كلام الشيطان، ومن بين الأنبياء استخدمها نوح ٣ مرات، ومرة هود، وصالح مرتين، وشعيب مرة واحدة.أما من غير الأنبياء فاستخدمت هذه الكلمة أخت موسى، ومرة واحدة من قبل أبناء يعقوب، ومرة واحدة من قبل الرجل الذي جاء من أقصى المدينة.وكما قلنا، فإن مصطلح النصح والنصيحة لم يستخدم من قبل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، كما أن نبي الله نوح (عليه السلام) يخاطب قومه: «إن نصيحتي لن تجدي معكم نفعا»، ويقول نبي الله صالح في خطابه لقومه: «إني لكم من الناصحين ولكنكم لا تحبون الناصحين».ومن خلال استخدام مصطلح (النصح) في الآيات يتبين ما يلي:

١- إن النصيحة الواردة في الآيات الكريمة هي بمعنى الأمر والنهي الخشن، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

٢- إن النصيحة لا تنفع دائماً.

٣- إن المنصوحين عادة لا يحبون الناصحين.

يوجد قسمين من الروايات ورد فيها مصطلح النصح ومشتقاته، وهي كالتالي:

ألف/ الروايات الواردة في مدح النصيحة، حيث أن معنى النصيحة في هذه الموارد بمعنى حب الخير والعطف على الآخر، يمكننا هنا استعراض عدد من النماذج على ذلك:

١- عن النبي (صلى الله عليه وآله)، أنه قال: الدين النصيحة. (محدث نوري ، ١٤٠٨: ٣٢٧)

٢- قال علي (عليه السلام): النصيحة من أخلاق الكرام. (محدث نوري ، ١٤٠٨: ٤٣٠)

٣- قال الصادق (عليه السلام): يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب. (مجلسي، ١٤٠٤: ٣٥٨)

٤- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم ... النصيحة لأئمة المسلمين ... (مجلسي ، ١٤٠٤: ٣٦٥)

ب/ الروايات الواردة في ذم النصيحة، وهذه الروايات تشير إلى معنى النصيحة الذي هو الأمر والنهي الخشن، ويمكن الإشارة هنا إلى بعض النماذج:

١- قال الرضا (عليه السلام): سمعت أبي (عليه السلام) قال: النصيحة خشنة.

٢- قال علي (عليه السلام): عار النصيحة يكدّر لذّتها. (ابن ابي الحديد ، ١٣٣٧: ٣٢٧)

٣- قال علي بن الحسين (عليهما السلام): كثرة النصح تدعو إلى التهمة. (مجلسي، ١٤٠٤: ٦٦).

وفي الكلمات الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) لا نجد إلا مورداً واحداً استخدم فيه بصراحة كلمة (نصحت) وهو مورد تعريف الإمام علي (عليه السلام) على أنه إمام وخليفة ووصي من بعده، وحسب الظاهر إنه (صلى الله عليه وآله) استشهد بالآية الكريمة في قوله:

www.noormags.ir

معاشر أصحابي، قد نصحت لكم وبلغت رسالة ربي ولكن لا تحبون الناصحين. (طبري، ١٣٨٣:٥٣) أما الموعظة فقد استخدمها النبي كثيراً، كما في سورة النساء:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً). (النساء:٦٣) أو في سورة النحل حيث أمر الله نبيه بالدعوة إلى الإسلام بالموعظة الحسنة:

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). (النحل:١٢٥) أو كما يأمر الله نبيه الكريم أن يعظهم من خلال هذه الآية:(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ). (سبأ:٤٦) أما معنى (وعظ) فيقول الخليل: وعظت الرجل أعظه عظة وموعظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه.(فراهيدي، ١٤١٠: ٢٢٨) وجاء في لسان العرب:الموعظة: النصح والتذكير بالعواقب. (ابن منظور، ١٤١٤: ٤٦٦)جاءت كلمة (الوعظ) ومشتقاتها في القرآن الكريم ٢٥ مرة، وهي تشمل الموارد التالية:

- الله سبحانه وتعالى يعظ.
- الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه (صلى الله عليه وآله) بالموعظة.
- لقمان يعظ ابنه.
- قوم عاد يقولون لنبيهم هود (عليه السلام): «سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين».
- جماعة من اليهود تقول لأخرى: لم تعظون قوما الله مهلكهم.
- الرجال يجب أن يعظوا نساءهم الناشزات.

عندما نجد أن الله تعالى يعظ الناس وليس ينصحهم ويأمر نبيه بالموعظة وأن الكتب السماوية ما هي إلا موعظة، كل ذلك يدل على أهمية الموعظة في مقابل النصيحة.الروايات الشريفة أيضاً أكدت على هذا النحو، فنجد ذلك في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام)، حيث يقول:«أحي قلبك بالموعظة». (صبحي صالح، ١٤١٢: ٣٩١)

كما أن النبي (صلى الله عليه وآله) يقول لجبرائيل: عظني. (ابن بابويه قمي ،١٤٠٣: ٧) ولم يقل (انصحني)، حتى أننا لا نشاهد في النصوص الروائية أن أحداً طلب من النبي أو الإمام أن ينصحه، في حال أننا نشاهد موارد كثيرة يطلب فيها السائل من النبي أو الإمام الموعظة.في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه في زمن عيسى (عليه السلام) وبأمر منه تقرر إجراء الحد على شخص ما، وكان من جملة الحضور نبي الله يحيى (عليه السلام)، فذهب نبي الله يحيى إلى الزاني وقال له: أيها المذنب عظني. (ابن بابويه قمي ، ١٤١٣: ٣٣)وهنا نكتفي بذكر نموذج من نصائح الأنبياء السلف ونموذج من مواعظ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) من القرآن الكريم:

الأنبياء السلف كانوا يأمرون قومهم (فاتقوا الله و أطيعون) (شعراء-١٠٨) ، وفي بعض الأحيان نرى أن هذه الجملة يكررها أحد الأنبياء أكثر من مرة.ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في مقام الوعظ يشوق الناس لأتباعه، ويعظهم بما يلي:(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١) وبخصوص رعاية التقوى الإلهي فإنه (صلى الله عليه وآله) يذكر بمزايا التقوى ليشجع ويحث على الإلتزام بالتقوى، يقول:

www.noormags.ir

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَ اللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران:١٥و١٦) وإذا ما سأل شخص: هل نجد نموذجاً من مواعظ النبي (صلى الله عليه وآله) في كلمات الأنبياء السلف؟ وهل نجد نموذجاً من نصائح الأنبياء السلف في كلام النبي الأكرم؟ نجيب: نعم من الممكن أن نجد في بعض كلمات الأنبياء السلف الموعظة، كما يقول نبي الله نوح مخاطباً قومه:(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً). (نوح:١٠-١٢) وكذلك نبي الله هود له موعظة قريبة من هذا المضمون. (هود — ٥٢)ولكن الجو السائد على كلمات الأنبياء السلف هو الأمر والنهي والنصيحة، وكما أشرنا سالفاً فإن النبيّين المذكورين قبل قليل استخدما بصورة صريحة لفظ النصيحة.وباستعراض الآيات القرآنية يتبين أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يستخدم أسلوب النصح بالأمر والنهي.وبالإنتباه إلى ما ذكرناه، يمكننا الإشارة إلى ثلاث فروق جوهرية ودقيقة بين النصيحة والموعظة:

١- الموعظة هي بيان الأعمال الحسنة بنحو يرق له قلب السامع وتوصل الإحساس باللين والرقة في الخطاب، وبالتالي يزيد ذلك من احتمال قبولها.في حال أن النصيحة هي أمر خشن، وعادة ما يرفض السامع النصيحة ولا يحب من ينصحه.

٢- إن علاقة الناصح بالمنصوح علاقة العالي بالداني، أو بعبارة أخرى: هي علاقة الأعلى بالأسفل.إذا هي على العكس من الموعظة، حيث نرى من خلال النصوص الروائية موارد يطلب فيها إنسان في غاية الورع والتقوى والمخافة من الله سبحانه وتعالى من إنسان مذنب وعاصي أن يعظه، في حال أننا لا نشاهد مثل ذلك في النصيحة.

٣- الموعظة وخلافاً للنصيحة لا يستخدم فيها أسلوب الأمر والنهي الخشن، وإذا نظرنا نظرة عابرة على مواعظ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يتبين لنا أن الموعظة هي بيان نفس هذا الأمر والنهي ولكن بإطار لطيف ولين يساعد السامع على قبولها.

ب/ التهديد:

التفاوت الآخر في أسلوب كلام الأنبياء السلف في تبليغ الرسالة مع نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) هو في استخدام التهديد.في البداية يجب أن نفرق بين الإنذار والتهديد، الخوف ومشتقاته هو مصطلح قرآني يعني التهديد والإرعاب.ورد في كتاب مقاييس اللغة في معنى الخوف: خاء و واو و فاء: أصل واحد، يدل على الذعر والفزع. (ابن فارس ، ١٤٠٤: ٢٣٠)

في مفردات الراغب في ذيل هذه الكلمة، يقول:الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة. (راغب اصفهاني، ١٣٩٢: ١٦١)أما في التحقيق فيقول بعد توضيح كلمة الخوف: هو ما يقابل الأمن. (مصطفوي، ١٣٦٠: ١٤٥)ومن هنا يتبين أن كلمة الخوف بمعنى الذعر والفزع والتهديد والإرعاب.أما الإنذار فهو من النذر، حيث أن الموضوع مختلف تماماً، كتب في مقاييس اللغة أن الإنذار بمعنى البلاغ، طبعا البلاغ الملازم للتحذير والتخويف. ويقول أيضاً أن الإنذار ونذير بمعنى واحد.(ابن فارس،١٤٠٤:٤١٤) يقول صاحب قاموس القرآن في ترجمة الإنذار أتى بثلاث كلمات متتالية، وهي:

www.noormags.ir

الإعلام والتحذير والتخويف. (قرشي،١٣٧١: ٤١)وهذا يدل على أن هدف الإنذار هو: الإعلام ثم التحذير وفي النهاية التخويف، وعلى هذا الأساس عرف صاحب مقاييس اللغة الإنذار على أنه الإبلاغ.استخدم جميع الأنبياء في دعوتهم أداتين مهمتين، الأولى: الإنذار، والثانية: البشارة، وهنا نلفت عناية جميع المبلغين لأن يستخدموا في تبليغهم ودعوتهم هاتين الأداتين المهمتين.في مرات عديدة خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بألفاظ مثل: بشير ونذير، ولان هاتين الكلمتين جاءتا متتاليتين فإن هذا يدل على أهمية استخدام البشارة والإنذار في أمر التربية والتبليغ. التبشير بمعنى الترغيب والحث على القيام بعمل ما أو اجتنابه، والإنذار بمعنى بيان العواقب الخطرة للقيام بعمل ما أو عدم القيام به.يقدم لنا الشيخ مرتضى مطهري مثالاً رائعاً لذلك، فيقول:إذا أراد شخصان مثلاً أن يحركا حيواناً إلى أمام، فإن الذي يحثه ويجره إلى الأمام هو القائد، والقائد يعني الحاث على الحركة للأمام وهو بمثابة البشير، أما الآخر الذي يدفع إلى الأمام فهو السائق وهو بمثابة النذير.ويقول بعد ذلك: هذين الأمرين لازمين للمبلغ، بل إن جانب التبشير يجب أن يطغى على جانب الإنذار، ولهذا السبب نرى القرآن الكريم يقدم التبشير دائماً، بشيراً ونذيراً، مبشراً ونذيراً. (مطهري، ١٣٧٣: ٥١) هذا مثال جميل قدمه لنا مطهري، فبما أن البشارة والترغيب والتشجيع من الأمور المحببة والحسنة، لذا فإن الأمر ليس فيه إجبار، حيث أن المخاطبين وبتمام اختيارهم يتبعون البشير.ولكن الأمر يختلف تماماً في الإنذار، لأن المخاطبين لا يتخلون بسهولة عن لجاجهم وعنادهم لذا من اللازم وجود قوة تدفعهم وتسوقهم نحو المحاسن والسعادة، ولذلك فإنه يستخدم الإنذار، في الحقيقة فإن السوق نحو الإمام للمخاطب المعاند بدون بيان عواقب أعماله السيئة ورغماً عن ميله يسير في طريق السعادة والكمال وإلا فلن يتحرك.

إن جملة (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) استخدمها عدد من الأنبياء السلف (عليهم السلام) في القرآن الكريم، حيث تكتنفها حالة من التهديد والإرعاب.هذه الجملة استخدمت: مرة واحد من قبل نوح (عليه السلام) في سورة الأعراف الآية ٥٩، ومرتين من قبل هود (عليه السلام) في سورة الشعراء الآية ١٣٥ والأحقاف الآية ٢١.

جملة (إنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ أليم): مرة واحد من قبل نوح (عليه السلام) في سورة هود الآية ٢٦، وجملة (إنّي أخافُ عليكم عذابَ يوم محيط) مرة واحدة من قبل شعيب (عليه السلام) في سورة هود الآية ٨٤، وجملة (يا أبتِ إني أخافُ أن يمسَّكَ عذابٌ من الرحمن) مرة واحدة من قبل إبراهيم (عليه السلام) في سورة مريم الآية ٤٥.حيث أكدت هذه الجمل على شدة وغلظة تحذير الأنبياء لقومهم من عذاب اليم وكبير.يقول عبد الحليم حنفي في إشارة إلى قوله تعالى: (إنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيم) تحت عنوان التخويف والتهديد في دعوة نبي الله نوح (عليه السلام):

«فإن الألفاظ تحشد فيه زيادة في هذا التخويف، ومن الألفاظ (إنّ) المفيدة للتأكيد ومنها التعبير بلفظ المضارع في (أخاف) وما يفيده المضارع من تجدد حدوث الفعل واستمراره، ثم الخطاب في (عليكم) وما يفيده من الإشفاق والإهتمام بهم ثم إنه يخوفهم من عذاب يوم القيامة ولكنه يجعل العذاب عذابين، العذاب الذي سيكون حينئذ واليوم نفسه كأنه عذاب، حيث وصف اليوم بأنه (أليم) بمعنى مؤلم والألم في الواقع يأتي من العذاب الموجود في اليوم ولكنه جعله يأتي

www.noormags.ir

من اليوم نفسه حيث جعل اليوم مؤلماً زيادة في إبراز خطورة العذاب وتعدد مصادره». (حنفي، ١٩٩٥: ٧٠)

حسب رأي الكاتب فإن أحد وجوه الزيادة في شـدة العذاب استخدام لفظ (أخاف) يعني انه لم يقل (خافوا) بل كأنه يقول: مع أني من الأنبياء فمع ذلك أخاف من شـدة ما ينتظركم من العذاب فكيف الحال بكم.في نفس الوقت فإن كاتباً آخر يشير إلى الأساليب التي اسـتخدمها نـوح (عليه السلام) في دعوته ويشير إلى هذه الآية ويعبر عنـها بـ(الترهيب).(سيد بيومي ، ١٤٠٦: ٢١٢)

قال صاحب التبيان : و قوله «إِنِّي أَخَـافُ عَلَـيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ» أي مؤلم عذابه و إنما قال عذاب يوم أليم بالجر و معناه مؤلم، لأن الألم يقع في اليوم، فكأنه سـبب الألم.(طوسي ، بي تا : ٤٧٠)

بلا شك أن النبي (صلى الله عليه وآله) استخدم كلمة (أخاف) في ثلاث مرات، مرتين بأمر من الله: (قُـلْ إِنِّـي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (الأنعـام:١٥)، (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَـذَابَ يَـوْمٍ عَظِـيمٍ) (الزمر:١٣)، ومرة من قبله (صلى الله عليه وآله): (... إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (يونس:١٥).في هذه الموارد الثلاث لم يخوف النبي (صلى الله عليه وآلـه) مخاطبيه من العذاب، بل استخدم كلمة الخوف بخـصوص نفسه الشريفة وهذا في حال ما إذا عصى أمر ربه. إن هذا الأسلوب في الخطاب – كما أشرنا سلفاً بخصوص عـدم نسبة الضلالة للمخاطبين – هو الأسلوب الخاص برسـول الله (صلى الله عليه وآله)، يعني أن النبي يبين هذا المعنى: إنني في حال عصيت أمر ربي فاني أخاف عذاب يوم عظـيم، وهو تعريض بأن: أنتم أيضاً يجب أن تشعروا بنفس هـذا الشعور، مع اختلاف في أنه (صلى الله عليه وآله) بيّن الأمر بإطار جذب العاصين لطاعة الله.

بالتأكيد يوجد موضع في سورة هود الآية ٣: (إني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ كبير)، وللوهلة الأولى يتصور القارئ أن هذا قول النبي (صلى الله عليه وآله)، ولكن بعد التمعن يتبين، أولاً: إن هذا هو أمر الله عز وجل لنبيه (صلى الله عليه وآله) بأن يبين الأمر بهذا الشكل. (طباطبايی، ١٤١٧ :١٤٠ و حسينى شيرازى، ١٤٢٣: ٢٣٣)وعند الرجوع إلى التفاسير يتبين لنا أن هذه الجملة جاءت عن قول الأنبياء السلف (عليهم السلام)، وثانياً: إن محتوى الآية هو بعنوان الموعظة.بعد التدقيق في الآيات التي ذكرت يتحصل أن كلمة (أخاف) هي بمعنى الإرعاب والتهديد وهي تختلف عن كلمة (الإنذار) التي هي بمعنى إعلان الخطر.

لقد التفت جل المفسرين إلى هذا الفرق الدقيق، وعادة ما يترجمون الآيات التي تحتوي على كلمات أخاف ونذير بالخوف، لقد وقف مطهري على هذه النكتة الدقيقة، ويقول:النذير ليس بمعنى المخوف، النذير معناه أخص من المخوف، يعني من يعلن عن الخطر، والإنذار نوع من التخويف مع إعلان عن الخطر. (مطهري،١٣٧٣: ١٩٠) وهنا يذكر نموذجاً تاريخياً، فيقول:حين يريد الإنسان أن ينذر فكثيراً ما يشتبه عليه الأمر بين الإنذار والتنفير، التنفير هو عمل التنفر، وعمل التنفير هو أن تعمل عملاً يفر منه الإنسان ... توجد في روح الإنسان دعوات ليست للسوق أو للقيادة بل للتنفير، يعني إيجاد التنفير والفرار، وهو أصل نفسي ... قال النبي لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن من أجل الدعوة والتبليغ: «يا معاذ بشر ولا تنفر». ولم يقل لا تنذر لأن الإنذار جزء من برنامج القرآن الكريم الذي أمر به، ويعني كلامه (صلى الله عليه وآله) لا تعمل عملاً ينفر الناس من الإسلام،بل أسع لأن يدرك الناس محاسن الإسلام ويدخلوا فيه عن ميل ورغبة ... (مطهري،١٣٧٣: ٢٠٨)

www.noormags.ir

وعلى هذا الأساس يجب القول: إن التهديد والإرعاب هو نفس عمل التنفير، الذي جاء في هذا النموذج التاريخي.لقد بعث (صلى الله عليه وآله) بالدين الحنيف والشريعة السمحاء، كما تقتضي رسالته وأكدت سنته: «بعثت بالحنيفية السمحة – أو السهلة – ومن خالف سنتي فليس مني». (دلشادتهراني،١٣٧٢: ٢٨)وإذا ما قيل: كيف تنسجم الآيات التي ورد فيها القتل والقتال وهو نوع من التهديد والإرعاب الغليظ والشديد مع عدم استخدام التهديد والإرعاب؟نقول في جواب ذلك:

١-إن موضوع عدم استخدام التهديد والإرعاب كان في بداية الدعوة عندما سمع الناس لأول مرة الدين والشريعة، وليس بعد أن وصلهم تبليغ الدين والرسالة مرات عديدة وهم يتآمرون على الفتنة.

٢-كما ورد في الآيات مورد السؤال والآيات المشابهة يتبين أن المخاطبين بعد أن سمعوا بلاغ الرسالة دخلوا من باب المؤامرات، وسعوا من أجل الفتنة والقتل والقتال، عندها أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يقابلهم بنفس الأسلوب الذي انتهجوه.

٣-إن المخاطبين في هذه الآيات هم المنافقين والمشركين المعاندين، بعد أن أظهروا إيمانهم وبطنوا الكفر والشرك سعوا وراء المؤامرة والفتنة على النبي (صلى الله عليه وآله) ودين الإسلام، فأمر الله سبحانه نبيه وأصحابه بأن يقابلوهم بالغلظة والشدة.

٤-طبق شهادة القرآن الكريم فإن الله لم يأذن للنبي وأصحابه في المقابلة بالمثل مع من رفضوا دعوته، إلى أن نزلت الآية الآتية: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ). (الحج:٣٩).حيث ورد في تاريخ نزولها: إنها نزلت بعد هجرة النبي. (طبرسي،١٣٧٢: ١٣٨)

٥- لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) يسعى لا في أول دعوته ولا بعدها إلى التهديد والإرعاب ولا حتى بعد هجرته إلى المدينة، إلى أن أمره الله سبحانه بالقتال والمقابلة بالمثل، وفي غير هذه لم تكن أياً من حروب النبي في أمر تبليغ الدين ابتدائية. (هاشميان فرد ، ١٣٨٠: ١٥٢)

٦-يجب أن نفرق بين الذين سمعوا نداء دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) وأحسوا أن منافعهم غير المشروعة في خطر، ووقفوا في وجه النبي بمؤامراتهم عن قصد وعمد وبين غيرهم، أما بخصوص الذين تآمروا وقاتلوا فإن النبي وحسب أمر الله سبحانه وتعالى يقابلهم بالقتال والمقابلة بالمثل، ولكن في غير ذلك فإن النبي لم يستخدم حتى أسلوب التهديد في شأن من خالفه بدون قتال أو مؤامرات.

ج/ البشارة:

عندما بعث نبينا (صلى الله عليه وآله) رحمة للعالمين، فإنه لم يلعن و لم يستخدم التهديد والإرعاب من أجل تبليغ دين الله، حتى أنه لم يخوف المنكرين من عذاب الله بل بشرهم بعذاب الله سبحانه وتعالى.

وردت كلمة (بشر) مع مشتقاتها ١٢٣ مرة في القرآن الكريم، وجاء ٢٢ مورداً منها بصيغة الأمر، وموردان بشكل: باشروهن و فاستبشروا – والتي لا تعنينا في هذا البحث – ، و٢٠ مورداً آخراً: بشّر ١٣ مرة، بشّره ٣ مرات، بشّرهم ٣ مرات، وابشروا مرة واحدة.ومن جملة العشرين موردا هذه، اختص: ١٣ مورداً بالمؤمنين والعباد الصالحين، و ٧ مرات بشارة بالعذاب للمنكرين والمكذبين – والذي يدخل هذا

www.noormags.ir

المورد في بحثنا – ، ومن الطريف أن ٧ موارد أخرى بشارة من الله تعالى إلى نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله).أما الذين بشروا بالعذاب في الموارد المذكورة السبعة، هم: الكفار، والمنافقين، والمنكرين لآيات الله، وكثير من الأحبار، والرهبان، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله. وبما أن ظاهر الآيات حجة، ففي الحقيقة إن الله سبحانه وتعالى يبشر بواسطة نبيه هؤلاء بعذاب أليم وفي نفس الوقت الذي هو أليم وأحياناً طويل فهو مطهر لهم.وإذا ما نظرنا إلى مجموعة الآيات فسيتضح أن العذاب الإلهي هو رحمة، وأن البشارة بالعذاب لا تحمل على أنها استهزاء وتهكّم.اعتبر عموم المفسرين أن البشارة بالعذاب من باب الإستهزاء، يقول الفخر الرازي في ذيل الآية ٢٥ من سورة البقرة (وبشّر الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ ...):أنها الخبر الذي يظهر السرور ... أما فبشرهم بعذاب أليم، فمن الكلام الذي يقصد به الإستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به. (فخرالدين رازي ،١٤٢٠ : ٣٥٨)أما البعض الآخر من المفسرين مثل سيد قطب والزمخشري فإنهم لم يتعرضوا لهذه الآية أصلاً.(سيد قطب ، ١٤١٢: ٣٨١ و زمخشري ، ١٤٠٧: ٣٤٨)والبعض الآخر مثل المراغي في تفسيره، فقد ترجم فبشرهم بـ(أنبئهم). (مراغي،١٩٨٥:١٢٥) والبعض الآخر مثل ابن كثير في تفسيره يقول (في ذيل الآية ٢١ من سورة آل عمران): و قوله «إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ» أي مؤ لم عذابه و إنما قال عذاب يوم أليم بالجر و معناه مؤلم، لأن الألم يقع في اليوم، فكأنه سبب الألم.(ابن كثير، ١٤١٩ :٢٣) أما بين اللغويين فيقول الراغب الأصفهاني أن استعمال البشارة في العذاب هي من باب الإستعارة، حتى يطلع المخاطب فيما أعد له من العذاب. (راغب أصفهاني ، ١٣٩٢: ٢٦)والبعض من علماء اللغة يعتقد أن أصل استعمال البشارة هو في الخير ولكن أحياناً تستعمل في أمور الشر ويشير إلى الآيات التي هي مورد البحث. (ابن منظور ،١٤١٤: ٦٢ وفراهيدي ،١٤١٠:٢٥٩) بحيث أننا نلاحظ أن جميع النظريات تنشأ من النظرة للعذاب بالشر، وفي هذه الحالة يجب أن نؤول البشارة الإلهية بالعذاب بأنحاء مختلفة.ولكن إذا ما نظرنا إلى العذاب كطريق للتخلص من الأوساخ والأدران يخرج الإنسان المجرم في آخر المطاف طاهراً وجديراً بالجنة، عندها لا نحتاج إلى هذه التأويلات.

الإستنتاج:

بالإلتفات إلى ما ذكر نستنتج أنه يوجد اختلاف واضح في أسلوب خطاب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وباقي الأنبياء السابقين، وفي طريقة كلام الأنبياء السابقين مع قومهم من جهة ومن جهة أخرى طريقة وأسلوب كلام نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) مع قومه، بعض الأساليب يشترك بها الأنبياء السلف، وفي نفس الوقت فإن أسلوب خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) يختلف جذرياً. يشترك بعض الأنبياء بنفس الأسلوب الخطابي، والبعض الآخر له أسلوب مميز وفريد. إن هذا التفاوت في الخطاب له تأثير مباشر على ميزان نجاح الأنبياء في جذب الناس إلى الله.وكما شاهدنا إذا ما استخدمنا في خطابنا عند التبليغ: اللطف، واللين، والمحبة، والاحترام فعلى الأرجح ستكون الدعوة ناجحة وموفقة ولها تأثير أكثر وأدوم.

www.noormags.ir

المصادر:

[١] القرآن المجيد، منشورات أسوة، طهران، ١٣٨٠ش.

[٢] ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد، شرح نهج البلاغة، المكتبة العامة لآية الله المرعشي النجفي، قم، الطبعة الأولى، جلد٢٠ ، ١٣٣٧ش.

[٣] ابن بابويه القمي،محمدبن علي بن الحسين،الخصال،منشورات جامعة المدرسين،قم،جلد،٣ ١٤٠٣ق.

[٤] ــــــ، من لا يحضره الفقيه، منشورات جامعة المدرسين، قم،جلد ٤، ١٤١٣ق.

[٥] ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، دفتر تبليغات اسلامي، قم ، ١٤٠٤ق.

[٦] ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو،تفسير القرآن العظيم،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٩ق.

[٧] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ق.

[٨] الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، مكتبة بني هاشمي، تبريز، جلد ٢، ١٣٨١ ق.

[٩] جوهري،إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق أحمدبن عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ق.

[١٠] الحسيني الشيرازی ، سيد محمد ، تبيين القرآن ، بيروت ، دار العلوم ، ١٤٢٣ق.

[١١] الحنفي، عبد الحليم، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية المائة للكتاب، ١٩٩٥م.

[١٢] دلشاد الطهراني، مصطفى، السيرة النبوية، نشر وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلاميين، الطبعة الأولى، جلد٢، ١٣٧٢ش.

[١٣] الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٩٢ق.

[١٤] الزمخشري،محمود،الكشاف عن حقايق غوامض التنزيل،بيروت، دارالكتاب العربي، ١٤٠٧ق.

[١٥] سيد بيومي ، مصلح ، ادع الى سبيل ربك ، كويت ، دار القلم ، ١٤٠٦ق.

[١٦] سيد قطب ، إبراهيم شاذلي ، في ظلال القرآن ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤١٢ق.

[١٧] صبحي الصالح، نهج البلاغة ،مؤسسة دار الهجرة، قم، الرسالة ٣١.

[١٨] الطباطبايي ، سيد محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ،منشورات جامعة المدرسين ، قم،١٤١٧ق.

[١٩] الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات ناصر خسرو، طهران،جلد٧، ١٣٧٢ش.

[٢٠] الطبري، عماد الدين، بشارة المصطفى، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٣ق.

[٢١] الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، مرتضوي، طهران،جلد٢، ١٣٧٥ش.

[٢٢] الطوسي،محمدبن حسن،التبيان في تفسير القرآن،دار إحياء التراث العربي،بيروت،بلا تا.

[٢٣] فخرالدين الرازی ، أبوعبدالله محمدبن عمر ، مفاتيح الغيب ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠ق.

[٢٤] الفراهيدي،خليل بن أحمد،كتاب العين،منشورات هجرت،قم،جلد٣،الطبعة الثانية، ١٤١٠ق.

[٢٥] القرشي، سيد علي أكبر، قاموس القرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران،جلد٧، بلا تا.

www.noormags.ir

[٢٦] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت،جلد٧١، ١٤٠٤ق.

[٢٧] المحدث النوري، حسين، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت، قم،جلد١، ١٤٠٨ق.

[٢٨] المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،جلد٣، بلا تا.

[٢٩] مصطفوي،حسن،التحقيق في كلمات القرآن الكريم،مؤسسة النشر و الترجمة للكتاب، طهران، ١٣٦٠ش.

[٣٠] المطهري،مرتضى، سير في السيرة النبوية،منشورات صدرا،طهران، ١٣٧٣ش.

[٣١] هاشميان فرد، زاهد، الجهاد الدفاعي في القرآن والحديث، رسالة الدكتوراه، جامعة طهران، ١٣٨٠ش.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

www.noormags.ir

بررسی تفاوت خطابهای تبلیغی انبیای سلف و پیامبر اسلام (ص)

کاظم قاضی زاده[1]، صادق آیینه وند[2]، محمد علی مهدوی راد[3]، حبیب الله رسولی[4]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۷/۱۰/۲ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۸/۳/۳

همه پیامبران الهی از طرف خداوند مأموریت داشتند ضمن ابلاغ رسالت خود مردم را به عبادت خدا و اجتناب از طاغوت فرا بخوانند. میزان موفقیت أنبیا در جذب مخاطبین و همچنین سرعت گسترش دینی که آورده‌اند با هم تفاوت می‌کند. چرا حضرت نوح (ع) پس از نهصد و پنجاه سال دعوت موفق به جذب تعداد اندکی از مخاطبینش می‌شود ؟ عوامل مختلفی در این تفاوت موفقیت دخیل هستند. یکی از این عوامل نحوه گفتگو و خطابهای پیامبران با مخاطبین خود بوده است. تأکید پیامبران سلف به استفاده از شیوه‌هایی همچون تهدید و نصیحت بوده است. در حالی که رسول گرامی اسلام بیش از هر چیز از بشارت استفاده کرده و هرگز به تهدید قوم نپرداخته است. مهم‌ترین و مؤثرترین عامل موفقیت پیامبر(ص) در دعوت و تبلیغ همانا حسن خلق آن حضرت می‌باشد که ریشه نحوه مخاطبه و تعامل ایشان است .

واژگان کلیدی: گفتگو، خطاب، انبیای سلف، پیامبر اسلام، تبلیغ.

---

۱. استادیار عضو هیأت علمی دانشگاه تربیت مدرس

۲. استاد عضو هیأت علمی دانشگاه تربیت مدرس

۳. استادیار عضو هیأت علمی دانشگاه تهران

٤. دانشجوی دکتری علوم قرآن و حدیث دانشگاه تربیت مدرس

www.noormags.ir